معهد علوم التأصيل

تفريغ

شرح متن
لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد



لفضيلة الشيخ

مصطفى مبرم حفظه الله

www.imam-malik.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أمّا بعد:

فهذا هو المجلس الثامن والعشرون من مجالس معهد علوم التأصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية، وهو المجلس الثاني عشر من مجالس التعليق والشرح على متن" لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد". وقد انتهى بنا المقام إلى ما ذكره المصنف–رحمه الله تعالى–من الكلام على حقوق أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أومن الكلام على واجبه أو على الحق الواجب لولاة أمر المسلمين، ثم قال– رحمه الله تعالى–: **قال أنس :قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:** **((ثلاثة من أصل الإيمان :الكف عمن قال :لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله– عز وجل–حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار)) رواه أبوداود.**

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه، ولكنه حديث ضعيف، قد تكلم عليه الشيخ الألباني –عليه رحمة الله– في ضعيف سنن أبي داود. وما جاء في مجمل هذا الحديث لا شك في صحته والأمر به. فالكف عمن قال لا إله إلا الله، ملتزماً بها، قائماً بفرائضها، ومعرضاً عن نواقضها، واجب وهذا هو المراد فيمن قال لا إله إلا الله، لأن القول في إصطلاح الشرع داخل فيه تواطئ القلب وتواطئ اللسان. وقوله: **ولا نكفره بذنب**؛ تقدم معنا التقرير والتحرير في هذه المسألة، وأنها من المسائل التي انتُقِدت على المصنّف، ولا وجه للإنتقاد على مقتضى ما قرره شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى–في مقصد أئمة السنة في هذا الباب، وكذلك

قال: **ولا نخرجه من الإسلام بعمل؛** –وهذا كله تقدم–**والجهاد ماض منذ بعثني الله– عز وجل–**، يعني أن الجهاد لم ينسخ ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))، كما جاء عنه–عليه الصلاة والسلام–في الصحيح. وذكر أنه خلف بر وفاجر، أو مع كل بر وفاجر، وهذا من الأمور التي أجمع عليها أئمة السنة.

قال المصنّف بعد ذلك: **ومن السنة تولي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والإستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم. وإعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى:**﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:10] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]. هذا الموضع ذكر فيه المصنّف –رحمه الله تعالى–بعض الواجبات المتعلقة بأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقول المصنّف–رحمه الله تعالى–هنا: **ومن السنة؛** أراد الطريقة وليست السنة الإصطلاحية التي إصطلح عليها الأصوليون، وهي ما يقابل الفرض، وإنما المراد بالسنة الطريقة ولكل قوم سنة وإمامها. وقوله: **تولي**، يعني الولاء والموالاة، بمعنى أن المسلم يجب عليه أن يوالي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لأنهم أحق الناس بقوله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة: 71]،﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة:55]. فكل آية أمرت بموالاة أهل الإيمان، فإن أصحاب النبي– صلى الله عليه وسلم–في مقدمتها، وأصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، يعني من ثبتت له الصحبة، والصحابي هو من لقي النبي– صلى الله عليه وسلم–مؤمناً به، ومات على ذلك ولو تخللته ردة على الصحيح، على مقتضى ما قرره أئمة الحديث، وهذا الذي ذكرته هو تحرير الحافظ أبن حجر– عليه رحمة الله–وإليه منتهى الإستقراء في كثيرٍ من مسائل الحديث في هذه العصور المتأخرة .وليت

كثيرين من طلبة العلم، أو طلبة الحديث بهذا العصر، من الذين ينعقون بنعرة التفريق بين المتقدمين والمتأخرين، يعرفون لهذا الحافظ في هذا الباب قدره.

قال: **تولي أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-ومحبتهم**، وكذلك نقول، كل نص أُمر فيه بالمحبة والتحابب بين المسلمين، بين المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-هم الأحق به، وهم المقدمون فيه، والأحاديث والنصوص في هذا كثيرة.

قال :**وذِكر محاسنهم**؛ المحاسن التي لا يحصيها إلا الله- جل وعلا-نذكر لأصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-بعضها، وقد قال الإمام أيوب السختياني-رحمنا الله وإياه-: (من قال في أصحاب محمد بالحسنى فقد برأ من النفاق). ومحاسن القوم كثيرة، لا يحصيها إلا ربهم-جل جلاله-، فهم الذين اختصهم الله بصحبة نبيه، وبنزول القرآن عليه وهو معهم، وبجهادهم بين يدي رسول الله-صلى الله عليه وسلم -، وبحفظهم للقرآن في الصدور والسطور، وبحفظهم لسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-في الصدور وفي السطور، وجهادهم في سبيل الله في مشارق الأرض ومغاربها، ودعوتهم إلى الله-تبارك وتعالى -في كل صقع من الأرض، وماذا عسى ستذكر من محاسن القوم، فِبهم حُفظ الدين، وبه حُفظوا- رضي الله عنهم وأرضاهم -، ومن أراد الطعن فيهم إنما أراد إسقاط عدالتهم وشهادتهم ليسقط الدين في أيدي المسلمين.

قال: **والترحم عليهم**، أي طلب الرحمة وسيأتي الدليل على ذلك، أي على طلب الرحمة لهم، وهذا من أقل الواجبات في حقهم، أننا إذا لم نذكر محاسنهم، وإذا لم نذكر فضائلهم، وإذا لم ننشر فضائلهم، فلا أقل من أن نترحم عليهم وأن نستغفر لهم. قال: **والترحم عليهم والإستغفار لهم**؛ وهاتان درجتان :درجة ذِكْر المحاسن، وهي درجة الكمال والمقام العالي. والثانية: إذا لم تنشر المحاسن فعليك بالإستغفار لهم، وهذا الأمر واجبٌ كما قرر ذلك أئمة الإسلام بدليل الكتاب، ولما ذَكَر ما يجب لهم من ذِكْر المحاسن، والترحم، والمحبة،

والإستغفار، ذَكَر ما يناقضه وهو الكَفُّ عن ذكر مساوئهم فقال –رحمه الله تعالى–: **والكف عن ذكر مساوئهم**؛ وهذه المساوئ قد تكلم عليها شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى –بما لا مزيد على تقريره في العقيدة الواسطية، وأتى فيه من التحرير والتقرير ما ينبغي على طالب العلم أن يتأمله، وأن يعضّ عليه بالنواجذ، فإنه من أعظم المباحث في كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام –رحمه الله تعالى –، ورتَّبه ترتيبًا نفيسًا –عليه رحمة الله ومغفرته – وجزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، فإنهم لهم من السوابق ومن الفضائل.

وبعد أن ذكر –رحمه الله تعالى–ما هو الواجب اتجاه الصحابة، بقوله: (فصلٌ: ومن أصول أهل السنة والجماعة؛ سلامة قلوبهم وألسنتهم على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –)، ذكر قوله: (ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم). ثم ذكر أن (كل الأسباب الموجِبة للمغفرة، فإنها في حق أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –مُقَدَّمة)، ثم ذكر أن (القدر الذي يُنْكَر من فعل بعضهم نزغٌ مغمورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح)، إلى ما لا نهاية له من هذا الكلام. وذكر مراتب ما نُقِل عنهم، وأن عامته مما لم يثبت وإنما هو مما تناقله المؤرخون دون أن يكون صحيحًا إلى أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–. والنبي –صلى الله عليه وسلم –قال: ((إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا))، وقال كما سيأتي في قول المصنف: ((لا تسبُّوا أصحابي))، وقال: ((لعنة الله على من سب أصحابي))، والحديث حسن. **فقوله هنا: والكَفِّ عن ذِكْر مساوئهم**؛ إن وُجِدت وتحققنا من وجودها، لأنهم بشر ليسوا معصومين، وهذا من بشريتهم لكن لا يُعْلَم عن أحدٍ أنه مات مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب المحقَّقة، وينبغي لطالب العلم أن يجعل كلام شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى– نصب عينيه في تحقيقه لمسائل الصحابة على الأقل في العقيدة الواسطية وما شجر بينهم، يعني والذي شجر بينهم فإننا نسكت عنه. ومن روائع ما يُروَى في هذا، أن مجاهد بن جبر المكي،

–وانظروا إلى فقه هؤلاء الأئمة–أن مجاهد بن جبر المكي–رحمه الله –، التابعي الجليل وأخصُّ تلاميذ عبد الله بن عباس–رضي الله عن الجميع –قال: (إن الله قد علم بما يكون من أصحاب رسوله –صلى الله عليه وسلم –وأمر بالإستغفار لهم). ولهذا جاء في صحيح مسلم عن عائشة –رضي الله عنها–أنها قالت: ((أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم)). فيجب الإمساك عمَّا شجر بينهم، والله –تبارك وتعالى–يتولاهم، هذا الذي سار عليه أئمة السلف.

قال: وإعتقاد فضلهم؛ كما مر معنا، فإن هذا واجب أن نعتقد فضلهم وأن نعتقد تفاضلهم ومعرفة سابقتهم، يعني أنهم هم السبَّاقون لكل خير ليسوا فقط في الإسلام، كل خير سيعمله المتأخرون فقد سبق إليه أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم –، لأن الله قال فيهم:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾[التوبة: 100]. وقال عنهم:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح:18]، وقال–جل وعلا –:﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[الحديد: 10]، وقال:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾[الحشر:8]. وكلُّ آيةٍ في القرآن فيها ثناءٌ على المؤمنين، والمصلين، والمجاهدين، والمزكين، والحجاج، وذوي الخلق، والصبر، والإحسان، والإيمان، والصدقة، والنفقة، فإن أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –هم أهلها، وأصحابها، والمقدمون فيها. قال المصنّف–رحمه الله –: **قال الله تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر:10] ، هذه الآية جاءت في سياق سورة الحشر، وقد جاء بسندٍ صحيح عن سعد بن وقاص أبي إسحاق أحد العشرة المبشرين بالجنة–رضي الله عنه –أنه قال: (إن الله قسم هذه الأمة إلى ثلاثة أقسام، فانظروا فيها أين أنتم –أو كما قال –رحمه الله –، ثم ذكرها فقال–: قال الله تعالى:﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحشر:8]. قال: وهذه طائفة المهاجرين وقد مضت والثانية قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ

عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر 9]، وهذه طائفة قد تولت والثالثة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر: 10]. وهذه باقية، فمن لم يكن من هذه الطوائف الثلاث فليس من هذه الأمّة)، أو كما قال رحمه الله تعالى: الآية فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم.

وقال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح 29]. فهم المتصّفون بأعظم الصفات وأفضلها، وكما ذكرت لك، فإن كلَّ آية في كتاب الله فيها ثناء على الإيمان وأهله، فإنّ أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–هم المقدّمون فيها.

قد تكلم العلماء –رحمهم الله تعالى–على سبّ الصحابة –رضي الله عنهم–، وتفاصيله، ولخصّ ذلك العلامة ابن عثيمين –عليه رحمة الله–في شرحه لهذا المتن وذكر ثلاثة أقسام: (الأول: أن يسبّهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أنّ عامتهم فسقوا فهذا كفر، لأنّه تكذيب لله ورسوله في الثناء عليهم والترضي عنه) –إلى آخر ما قال–. (الثاني: أن يسبّهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى قول أنّه لا يكفر يجب أن يُجلَد ويُحبَس حتى يموت أو يرجع عمّا قاله).

هذا قول الشيخ العثيمين إنتهى، حتّى قال شيخ الاسلام –رحمه الله–عن هذه الدرجة أو هذا النوع: (فهذا محلّ الخلاف فيهم، بتردد الأمرين فيهم بين لعن الغيض ولعن الإعتقاد كما في الصارم المسلول فالقول بكفرهم ليس ببعيد). (الثالث: أن يسبّهم بما لا يقدح في دينهم فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك)، ذكر معنى ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى في الصارم المسلول.

قال: **وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–**: ((لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، وهذا حديث متفق عليه، وهو حديث مشهور،

بيّن فيه –صلى الله عليه وسلم–أن النّاس مهما عملوا من الأعمال الصالحة، فلن يبلغوا منزلة أصحابه –رضي الله عنهم وأرضاهم–، فلا يكون أحد بعد أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–في الفضل كمثلهم، لأنّ العبد مهما عمل من الأعمال فلن يبلغ مرتبة الصحبة فانتبه لهذا.

قال بعد ذلك –رحمه الله–: **ومن السنّة الترضي عن أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–أمهات المؤمنين المطهرات المبرأت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي –صلى الله عليه وسلم–في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.**

هنا ذكر المصنّف –رحمه الله–الحق الواجب في أزواجه، –عليه الصلاة والسلام–، وهن أمهات المؤمنين فقال: **من السنة**، وكما تقدم معنا أن المراد بالسنة هنا الطريقة، **الترضي**، أي طلب الرضوان عن أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهن أقرب النّاس إليه، وأحبّ النّاس إليه، وهنّ أهل بيته كما سيأتي، أمهات المؤمنين المطهرات، لأن الله قال في كتابه الكريم:﴿ إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[الأحزاب 33]، من كل سوء. وهذا الأصل متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، وقد نصّ جمع من الأئمة على أنّ أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–من آل بيته، وهذا هو المرجح عند طائفة من العلماء كما ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية –رحمه الله–في منهاج السنة، وتبعه على ذلك الذهبي في مختصره لمنهاج السنة، وبه قال العلامة القرطبي في تفسيره، وكذلك إنتصر لهذا القول أبن كثير –رحمه الله تعالى–في تفسيره، كذلك الشوكاني في فتح القدير وأبن عثيمين في الواسطية، وهو الذي سمعت شيخنا العلامة الفوزان يقرّره وأنه هو الراجح الذي دل عليه الدليل. ومنه انهن داخلات في قوله تعالى:﴿ إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

﴾[الأحزاب: 33]، لأنّ الله –تبارك وتعالى–ذكر آية التطهير بعد ذكر أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ثم ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى–مسألة اختلف فيها أهل العلم، وهي مسألة التفضيل بين خديجة وعائشة، وهذه المسألة فيها ثلاثة أقوال لأهل العلم –رحمهم الله–. فمنهم مقدم خديجة، ومنهم من قدم عائشة، ومن من توقف، والتوقف طريقة الإمام الذهبي –رحمه الله تعالى–. وهذه المسألة فيها قول رابع وهو التفصيل، فقالوا بأن خديجة في أول الإسلام أدركت ما لم تدرك عائشة –رضي الله عنها–وعائشة أدركت بعد نزول الشرائع والأحكام ما لم تدركه خديجة –رضي الله على الجميع–، فهذه أربعة أقوال ذكرها شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

ثم إنه –أي المصنّف–ذكر مسألة قذف عائشة بما برَّأها الله تبارك وتعالى منه، وأن فاعل ذلك قد كفر لأنه نسب إليها ما برأها الله تبارك وتعالى منه، وقذف عائشة بما برأها الله منه كفر بالإجماع، لأنه تكذيب للقرآن، ورد للإجماع، وقد نص على هذا طوائف من أهل العلم لا يحصيهم إلا الله كما نقله القاضي أبو يعلى وابن تيمية وكثير من الأئمة، نقلوا الإجماع على أن من طعن في عائشة بعد إذ برأها الله فإنه كافر بإجماع أهل العلم.

قال المصنّف –رحمه الله–: **ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين –رضي الله عنهم–**. وهذه المسألة ذكر فيها المصنّف –رحمه الله تعالى–الكلام على معاوية بن أبي سفيان دون غيره، لأن بعض السلف كان يرى أن معاوية ابن أبي سفيان–رضي الله عنه وأرضاه–هو الباب الذي يولج منه إلى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فمن ولج هذا الباب وسُلِّم له بالدخول فيه فإنه سيدخل على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–لا مَحال. وهذا أمر ظاهر وقد جاء عن السلف ما يقرر هذا الأمر، وهو أن معاوية باب إلى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. ووصف المصنف –رحمه الله تعالى– معاوية بأوصاف فقال: **ومعاوية خال المؤمنين**، وإنما وصفه بهذا

الوصف، لأن أخته رملة بنت أبي سفيان وهي أم حبيبة، إحدى أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–، فهو خال المؤمنين من هذه الناحية، وقد ذكر هذا أيضاً الحافظ أبن كثير –عليه رحمة الله– في البداية والنهاية. وكاتب وحي الله، لأنه أحد كتبة الوحي الذين كتبوا الوحي بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، كعثمان وزيد بن ثابث، وقد أحصوا في كتب علوم القرآن ورسم المصحف الذين كانوا يكتبون الوحي للنبي –صلى الله عليه وسلم–. أحد خلفاء المسلمين –رضي الله عنه– وهو الذي تنازل له الحسن، وسمي عام الجماعة كما أشار إلى ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– بقوله: ((إن أبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))، وقد كان كما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد جعل الله على يديه من الفتوح والإنتصارات ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

ثم ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى–، طريقة من طرق أهل السنة فقال: **ومن السنة** –وقلنا بأن المراد بالسنة في كتب الإعتقاد الطريقة التي سار عليها أئمة السلف–، قال: **ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – برهم وفاجرهم– ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.**

ومن ولِي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

قد تقدم معنا في الدرس الماضي شيء مما يتعلق بهذا الأصل، وهذا أصل عظيم ضيعه كثير من المسلمين في هذه الأعصار، فحصل بسبب تضييعه من الفتن والشرور والأحقاد وسفك الدماء وتعطيل مصالح الدين والدنيا، ما لا يعلمه إلا الله –تبارك وتعالى–، ورحم الله شيخ الإسلام أبن تيمية إذ يقول (بأنه لا يعلم عن طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجهم من الشر أكثر مما قصدوه من الخير)، هذا أمر معلوم. يقول القحطاني –رحمه الله–:

لا تخرجن على الامام محاربا * ولو أنه رجل من الحبشان**

كما جاء في حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه–، أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)).

والله -تبارك وتعالى- قد قال في كتابه الكريم كما تقدم معنا:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: 59]. والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال كما في الصحيحين: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). وقال -عليه الصلاة والسلام- كما في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك: ((ألا من ولي عليه وال فرأه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة)). فهذه النصوص وغيرها كثير مما جمعه الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في كتاب الإمارة شيء كثير. فأنظر إلى الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، ماذا فعل مع الأمراء والخلفاء في زمانه، حتى إنه قال في رسالة عبدوس بن مالك العطار: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين، البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين). هذا يقوله الإمام أحمد -رحمه الله-، وكذلك أئمة السنة مجمعون على هذا الأصل، لا خلاف بينهم فيه، وإختلال هذا الأصل ضيع على الناس مصالح الدين والدنيا، فالسمع والطاعة بالمعروف لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، هو طريقة النبي -صلى الله عليهم وسلم-، وذكرت لكم في الدرس الماضي ما قاله محمد بن نصر المروزي وما قرره محمد بن عبد الوهاب في كتاب مسائل الجاهلية: (فأما إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

ثم ذكر المصنّف -رحمه الله تعالى- ما تثبت به الخلافة وتنعقد به الإمارة فقال: **ومن ولي الخلافة وأجتمع عليه الناس** -بمعنى أنهم أجمعوا على مبايعته- **ورضوا به** – فهذا أول الطرق الشرعية-، **أو غلبهم بسيفه** وهذا مما أجمع عليه العلماء، لأن خلافة الكثير من الخلفاء أو الحكام المتأخرين كانت بمثل هذه الطرق، فإذا استقر له الأمر وأستتب، فإنه لا يجوز الخروج عليه، براً كان أو فاجراً، بل يجب الطاعة له، ويجب جمع القلوب عليه، هذا الذي قرره أئمة السنة، ورحم الله الحسن إذ يقول:(حاكم غشوم ولا فتنة تدوم). **قال: وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين**. فلا يجوز معصيته، ولا يجوز الخروج عليه، ولا يجوز شق العصا، بل يمضى خلفه، والحد الفاصل بيننا وبينه هو بقاؤه على الإسلام، فإذا بقي على الإسلام فإننا نسمع ونطيع له، وإن كان عنده فسوق ظاهر أو خفي فأمره إلى الله -تبارك وتعالى-. والخروج على الحكام يشمل خروج القول

ويشمل خروج الفعل. والخوارج هم أصل هذا الباب وهم الذين يُذْكُونَ نار هذه الفتن ضد حكام المسلمين وضد من غلب على بلاد المسلمين وتسفك الدماء بسببهم ولا يعلم من الفساد ولا يعلم أحد قدر الفساد الذي يكون بسببهم إلا ربّ العالمين -تبارك وتعالى-، فالخروج على ولاة الأمر محرّم وهذا أمر مجمع عليه.

ثمّ ذكر المصنّف -رحمه الله تعالى- مسألة الهجر لأهل الأهواء والبدع...

ولعلّكم إن شاء الله تعالى تَحْتَسِبُون الأجر الليلة، أو نجعله درساً مستقلاً حتى لا نعاجل أنفسنا، والمقصود في هذا الباب هو معرفة اعتقاد أهل السنة والجماعة وطريقتهم وإن كان قد تجاوز الأمر فيما يتعلق بالدرس، وكما ذكرنا في منهج المعهد، فإنه قد نحتاج في بعض الكتب إلى زيادة على القدر المقرر من حصصه، ثم إننا لنا عليكم ديوناً في هذا الباب في بعض المتون كمتن القواعد الأربع ومتن منظومة السير إلى الله والدار الآخرة وحتى الثلاثة الأصول، ونسأل الله -تبارك وتعالى- التوفيق والسداد والهدى والرشاد للجميع، وفي هذا القدر كفاية وما بقي من المتن ننهيه إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.

الأسئلة :

1- يقول أحسن الله إليكم، هل نلعن كل من قدح في أحد من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-...النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعن الله من سب أصحابي وهل نسمعه هذا اللعن أم نلعنه في أنفسنا، وكيف نجمع بين الأحاديث التي ذكرت فيها اللعن وبين الأحاديث التي تنهى على اللعن والطعن كالحديث الذي رواه الإمام مسلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم : ليس المسلم باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا بالبذيء ؟

الجواب: مسألة اللعن هذه المسألة فيها محل إجماع وفيها ما هو محل خلاف، فأمّا الإجماع فإنّ الإجماع منعقد على لعن كل من لعنه الله أو لعنه رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالوصف من دون تعيين، فمن ذكر النصوص الواردة في لعن من فعل فعلا أو اتّصف بوصف

هذا مجمع عليه لا إشكال فيه، وإنّما اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في لعن المعيّن، وخلافهم هذا راجع إلى جهتين، الجهة الأولى لعن المعيّن من المسلمين فهذا الذي عليه جماهير أهل العلم ورجّحه العلامة أبن باز وسمعت شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي يرجحه وينتصر له أنّه لا يجوز لعن المعيّن وإن اتّصف بالصفات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلّم لأنّ اللعن الطرد من رحمة الله تعالى من أجل الجمع بين النّصوص الواردة في اللعن وبين النصوص الناهية عنه، فالنصوص الواردة في اللعن محمولة على اللعن بالوصف والنصوص الواردة في النهي عن اللعن محمولة على اللعن في جهة التعيين والجهة الثانية في لعن الكفار، وهذه المسألة الخلاف فيها أكبر إلاّ أنّ الذي رجّحه أيضا شيخنا مقبل وسمعته منه وكذلك الشيخ ابن باز عليه رحمه الله أنّه لايجوز لعن المعيّن ولو كان كافرا لأنّه قد يسلم. فاللعن أمره شديد، فنحن نلعن من سبّ أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على جهة العموم لا على جهة الوصف، لعن المعين فالمسألة فيها خلاف.

2- يقول هل يقال لأخوة أمّهات المؤمنين أخوال المؤمنين ؟

الجواب: نقتصر على ما ذكره الأئمة كما ذكره ابن قدامة وكما ذكره ابن كثير وكما ذكره غيرهم من أهل العلم في حقّ معاوية وعلّة ذلك، والله أعلم، أنّهم ذكروا هذا الأمر لبيان صهارته للنّبي –صلى الله عليه وسلّم–، وأنّه –رضي الله عنه وأرضاه– أيضا له منزلة عند النبي –صلى الله عليه وسلّم– وقد ذكر العلماء جملة من فضائله وبعض المباحث التي نتعرض لها في هذه الشروح لو أخذنا بالكلام فيها على مقتضى التفصيل والاسترسال ما انتهينا من كتاب طيلة فترة المعهد وتزيد إلى سنوات، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وهذه المتون تفتح لك أبواب العلم والبحث والدراسة.

3- يقول أحسن الله إليكم كيف التوفيق بين الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله حديث بين عدم توفر شروط الجهاد وضعف الأمة ؟

الجواب: لا يقال في مثل هذا كيف نجمع، لأنّ أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– لا تعارض لا بالرأي ولا بالواقع ولا بالاجتهادات ولا بأقوال الأئمة ولا بأقوال حتى الصّحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم–، إنّما يدفع وهم التعارض لا التعارض، نقول وهم التعارض، لماذا نقول هم التعارض ؟ التعارض مأخوذ من ماذا ؟ التعارض مأخوذ من الاعتراض وهو أنّ الدليل الذي بين يدي المجتهد سائر في طريقه وبينما هو سائر في طريق إذ عارض له دليل آخر فسمي هذا بالتعارض، والتعارض يجب أن تعلم –بارك الله فيك– أنّه ليس في نصوص الشرع، ليس في الأدلة أيّ تعارض، إنّما التعارض صفة تقوم في المجتهد، فهذا المجتهد الذي ينظر إلى النصوص ويتأمل فيها وينظر إلى الأحاديث الواردة في هذا الأمر وفي هذا الأمر، التعارض صفة عارضة له هو، ولهذا قد تعرض هذه الصفة لغيره وقد لا تعرض لغيره فلا يكون عنده إشكال، هذا إذا كان في نصّين أوفي حديثين. ولهذا كان من روائع قول الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة311هـ أنّه قال: (ءأتو لي بحديثين ظاهرهما التعارض أجمع لكم بينهما) .

4– يقول هل كل من سبّ صحابي أو الصّحابة وقد فعل هذا في كثير من الأحاديث في كتابه الصحيح وفي كتاب التوحيد. فينبغي أن يتأمل هذا، فكون الأمة لا يكون عندها الشروط التي تلزم في الجهاد في سبيل الله –تبارك وتعالى– فإنّها ليست مطالبة به، وهذا من رحمة الله –تبارك وتعالى– بها. أفيراد أن تهلك نفسها وأن تضعف نفسها كما هو الحال في هذه الأعصار، كلما اتجه النّاس إلى المساجد وإلى الإسلام وإلى السنة وإلى حلق العلم قام فيهم خطيب فتنة ومحاضر فتنة وداعية فتنة وكاتب فتنة يدعوهم إلى الخروج وإلى منابذة ولاة الأمر وإلى التفجير والتكفير والتفسيق والتبديع وإلى استحلال الدماء والأعراض فلا يزيدهم إلاّ وهنا ولا يزيدهم إلاّ بعدا ولا يزيد الأمة بضعفهم إلاّ ضعفا. هذا لا يقوله عاقل ولا يعتقده من عنده بصيص نور من العقل بل الواجب على المسلمين أن يسعوا في تحقيق ما أمرهم الله –تبارك وتعالى– به ورسوله– عليه الصلاة والسلام– فإذا توفرت فيهم القدرة والشروط فإنّ الجهاد ماض إلى يوم القيامة.كفر؟

الجواب: على التفصيل الذي ذكرته لك وهو كلام شيخ الإسلام وكلام أئمة الإسلام فالتفصيل مغن عن الإعادة الذي ذكر في الشرع.

5- ماهو حكم من يقول عن معاوية –غفر الله له- يقصد ما جرى في الفتنة ؟

الجواب: لا يجوز التعريض لأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ولا يجوز أن تقال هذه الكلمة مع نوع من التعريض أو اعتقاد التدخل في الخطأ أو الإصابة أو الإساءة أو ماشابه ذلك.

دع ماجرى بين الصحابة في الورى *** بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم *** وكلاهما بالحشر مرحومان

رحم الله القحطاني فإنّ هذين البيتين من نفائس منظومته.

6- يقول: أحسن الله إليكم –وإليكم-، بعد السلام عليكم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هل نستطيع أن نبلغ درجة الصحابة –رضي الله عنهم- في الأعمال الصالحة ؟

الجواب: قد أجابك النبي –صلى الله عليه وسلم- ((فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا)) أتعرف جبل أحد ؟ ((مثل أحد ذهبا)):كومة واحدة ((مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه)): يده تملؤها بالذهب أو النصيف مايبلغ إنفاقك لمثل جبل أحد إنفاقهم للمد أو لنصيفه أين نحن من منزلة الصحابة ؟. رحم الله من أهل العلم من قال بأنه قد يأتي بالصحابة من ينال بعض الفضل، هذا من جهة الوصف العام في بعض الأعمال، قد يكون هذا. أما من من جهة الخصوص، فإنه لن يبلغ أحد دار الصحبة مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، والأعمال الصالحة منهم وما وقر في قلوبهم من الدين والإيمان والإخلاص ليست كحال غيرهم.

7- يقول نريد منكم تفصيلا لمصطلح السنة باصطلاحات العلماء، ماذا يعنون بها بكل فن وجزاكم الله خيرا وبارك فيكم و في علمكم ونفعنا به.

الجواب: وإياك بارك الله فيكم، هذه المسألة مهمة جداً وهي مسألة التداخل في الاصطلاحات في العلوم، فإن بعض الناس ربما يخلط في هذا الباب فيدخل على البلاغيين ما اصطلح عليه النحويون ويدخل على الصرفيين ما اصطلح عليه النحويون ويدخل على أصحاب أصول الفقه ما اصطلح عليه أصحاب المصطلح والعكس بالعكس. فإن العلوم قد يحصل بينها تداخل في جهة اللفظ إلا أن الحقيقة مختلفة، فالوهْم والوهَم والحكم والمحكوم به والمبتدأ والخبر والوضع والحمل والمسند والمسند إليه، وما شابه ذلك من المصطلحات التي يدور ذكرها ومن ذلك ما ذكره السائل -وفقه الله- في مسألة السنة. وقد ذكر الحافظ بن رجب -رحمه الله تعالى- عند شرحه لحديث ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) بعض الاصطلاحات الواردة عند أهل العلم فيما يتعلق بالسنة فالعلماء المتقدمون، الأئمة المصنفون في أبواب الاعتقاد، كان كثير منهم يطلقون لفظ السنة على الطريقة والاعتقاد الذي دونوه فيها، كالسنة للخلال والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وقد يسمون السنة بما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- وعلاقته بالقرآن وما جاء مؤكداً للقرآن أو مؤسساً للقرآن، كما فعل الإمام محمد بن نصر الموزي في كتابه السنة. وأما اصطلاحات المتأخرين فأشهرها اصطلاح أصحاب الأصول؛ أصول الفقه، واصطلاح أصحاب المصطلح، فالأصوليون يجعلون السنة ما يقابل الفرض، ويقولون بأن السنة هي ما أمر به الشارع أمراً غير لازم، يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. فالسنة ما جاء الأمر به على غير إلزام، وأصحاب المصطلح يقولون: السنة هي أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وأوصافه وتقريراته. وقد يتداخل هذان التعريفان عند هؤلاء العلماء. لكن أشهر الإصطلاحات في السنة هو الإصطلاح الأول عند الأئمة، وحيث ذكروه في كتب الإعتقاد، كما مر معك في هذا الكتاب أو في هذا المتن، فإنما يعنون به الطريقة التي كان عليها النبي -صلى الله عليه وسلم-

، وهذا الذي يدل عليه الإصطلاح اللغوي: 'ولكل قوم سنة وإمامها': يعني طريقة. فالسنة المراد بها الطريقة التي كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه هذا هو الذي يحضر لي في هذا المقام. ولعلك تراجع كتاب الحافظ بن رجب –رحمه الله تعالى– جامع العلوم و الحكم، ففيه فوائد في هذا الموضع. طيب لعلنا نختم بهذا السؤال.

8– هل يشرع لنا إن ذكرنا معينا ممن يطعن في الصحابة أن نقول هداه الله وإن كان رافضياً ؟ وهل يشرع لنا الدعاء بالهداية لكافة الناس مسلميهم وكافريهم ؟

الجواب: نعم، لا مانع من الدعاء بالهداية لكل الناس الكفار والمسلمين وهذا يعني لا خلاف فيه وقد جاء فيه جملة من الآثار ذكرها الإمام البخاري –رحمه الله تعالى– في كتابه الأدب المفرد وذكرها جملة من أهل العلم. إنما المنهي عنه هو الاستغفار لهم وطلب الرحمة لهم ﴿مَا كَنَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كَانُوا أُولِيٌ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ، وَ مَاكَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 113- 114] وآيات الإستغفار والترحم لا تجوز لأهل الكفر، أما الهداية طلب الهداية والدعاء لهم بأن يهديهم الله. أيضاً كما جاء عن النبي –عليه الصلاة والسلام– أنه قال ((اللهم أهدي دوساً واتي بهم)) وكانوا على الكفر لم يدخلوا في الإسلام بعدها هذا هو الحاصل في هذه المسألة.

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ومو عدنا إن شاء الله على الدرس القادم و الحمد لله رب العالمين.